علوم اللغة في رسائل التعمية (الشفرة)[1] Linguistics Applied in Cryptograms

محمد حسان الطيان Mohammad Hassan Al-Tayyan

الجامعة العربية المفتوحة – الكويت Arab Open University, Kuwait

Abstract

Cryptography is the transformation of a clear text into an incomprehensible one through a specific method that enables the one who is acquainted with it to understand the text. As for those who do not know the specific cipher method, they need to know cryptoanalytical methods to be able to break the codes of the text. Cryptoanalysis or braking the encryption is the transformation of a cipher text into a clear text through implementing cryptoanalytical methods which enable those without prior knowledge of the specific cipher method to break the codes of a text. We have come to know that both aspects of cryptology were established and developed by Arab scholars. They were the first to write on cryptology, define it, identify its tools, reveal its requirements, explain deciphering methods, and elaborate on what those methods required in terms of statistical and quantitative knowledge as well as linguistic sub-domains. One is awestruck by the interest which cryptographers took in various subfields of linguistics, especially phonology, computational linguistics, morphology, and prosody. What is surprising is that the type of linguistic analyses employed in cryptograms are hardly found in specialized treatises on linguistics. This study aims to explore these subfields in cryptography primary sources. In particular, the study deals with the following: computational linguistics, phonological harmony, morphological structure, syntactic rules, rhyme and prosody, rhetoric, and literary and linguistic anecdotes.

Keywords: computational linguistics, cryptograms, cryptography, cryptology, cryptoanalysis, lexicography, morphology, phonology, prosody, rhetoric, syntax

ملخص البحث

التعمية أو الشفرة: تحويل نصٍّ واضح إلى آخر غير مفهوم باستعمال طريقة محددة يستطيع من يعرفها أن يفهم النص. أما من لا يعرفها – أي الطريقة المستعملة في التعمية – فإنه يحتاج إلى معرفة مناهج استخراج التعمية كي يستطيع فك رموزها وحلها.

واستخراج التعمية أو كسر الشفرة: تحويل النص المعمى إلى نص واضح باتّباع مناهج استخراج المعمّى التي تمكّن من يجهل الطريقة المستعملة في التعمية من فكّها.

[1] هذا البحث تم دعمه ماليًا من قبل قطاع البحوث في الجامعة العربية المفتوحة – فرع الكويت بالقرار رقم (١٩٠٣١) تاريخ ١٧/ ٣/ ٢١٠٩.

Copyright © 2019, ISSN 1542-3921

وقد تبين لنا[٢] أن هذا العلم بشقيه ولد ونشأ وتطور على أيدي العلماء العرب، فهم أول من أَلَّف في فن التعمية، وحدد طرقها، وعدد أدواتها، وبيَّن متطلباتها، وشرح مناهج استخراجها، وأوضح ما تحتاج إليه هذه المناهج من معارف كمية إحصائية، أو لغوية صرفية وصوتية.

والباحث في هذا العلم يستوقفه كثرة اهتمام المؤلفين فيه بعلوم اللغة المختلفة، وخصوصا فقه اللغة والإحصاء اللغوي، وعلم الصوتيات، وعلم الصرف وعلم العروض. واللافت للنظر أن بعض ما اشتملت عليه رسائل التعمية من دقائق هذه العلوم لا يكاد يوجد في الكتب المتخصصة بها، ومن ثمَّ كان هذا البحث محاولةً للتنقير عن هذه العلوم وأسرارها ودقائقها في مصنفات التعمية. وفيما يأتي محاور البحث الرئيسية: ١) الإحصاء اللغوي، ٢) الائتلاف الصوتي، ٣) البنية الصرفية، ٤) أحكام نحوية، ٥) العروض والقافية، ٦) البلاغة، ٧) طرائف أدبية ولغوية.

الكلمات المفتاحية: الإحصاء اللغوي، رسائل تعمية، البلاغة، علم التعمية، استخراج المُعمَّى، المعجم، الصرف، الصوتيات، العَروض، البلاغة، النحو

تمهيد

يتصدر كتاب ديفيد كاهن *The Codebreakers* (١٩٦٧) قائمة المراجع العلمية التي أرّخت للتعمية واستخراجها منذ القديم وحتى عصرنا الحاضر، وهو ينطوي على حقائق في غاية الأهمية، منها قوله: "ولد علم التعمية بشِقَّيه بين العرب، فقد كانوا أول مَنْ اكتشف طرق استخراج المُعَمَّى وكتبها ودوَّنها". ومنها ذكره لجزء من (باب الكتابة السرية...) مقتبس من كتاب *صبح الأعشى* للقلقشندي وفيه إشارة إلى ابن الدريهم وسعة معرفته بالتعمية وشهرته في استخراجها، كما أن فيه نصًّا على اسم مخطوط من مؤلفات ابن الدُّرَيْهِم اسمه "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز" يعدّ من الكتب المهمة المفقودة.

وقد بحثنا طويلاً عن هذه الرسالة المفقودة، في المكتبة الظاهرية بدمشق، ولم يُؤتِ بحثنا أُكُلَهُ على النحو الأوفى إلا في مكتبات اصطنبول في تركيا حيث ترقد الكثرة الكاثرة من المخطوطات العربية، وحيث عثرنا على ضالّتنا المنشودة "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز" لابن الدريهم (٧٦٢هـ) التي حكم عليها المؤرخ الأمريكي بالفقدان، كما عثرنا على رسائل أخرى في هذا العلم لم تكن في الحسبان، على رأسها رسالة الكندي في استخراج المُعَمَّى، وهي أول رسالة كُتبت في علم التعمية واستخراج المُعَمَّى؛ إذ يعود تأليفها إلى النصف الأول من القرن

٢ المقصود فريق العمل المؤلف من محمد مراياتي، و يحيى مير علم، وحسان الطيان الذي نهض بتأليف كتاب *علم التعمية واستخراج المُعَمَّى عند العرب* بجزأيه. وكل هذه الجهود كان بمشاركة فريق العمل هذا.

الثالث الهجري، كما تسنَّى لنا معاينة الأصل المخطوط لمجموع كان الدكتور فؤاد سزكين قد أرسل إلى أستاذنا النفاخ مصورة عنه.

كانت هذه هي البداية التي انطلقنا منها لنعمل على تحقيق ما اجتمع لدينا من مخطوطات في علم التعمية واستخراج المُعَمَّى عند العرب، لإخراج موسوعة لهذا العلم، وقد صدر الجزء الأول منها مشتملاً على رسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٨٧م. ثم صدر الجزء الثاني مشتملاً على ثماني رسائل مخطوطة في تعمية المنثور والمنظوم، في المجمع أيضا عام ١٩٩٧م. وقدم لكلا الجزأين رئيس المجمع المرحوم الأستاذ الدكتور شاكر الفحام. وتشتمل رسائل التعمية على كثير من المعارف اللغوية المعتمدة على علوم اللغة صوتًا وصرفًا ونحوًا وعروضا ودلالةً ومعجمًا... وهو ما أرمي إلى بيانه وجلائه في هذا البحث.

على أنه تحسن الإشارة إلى أننا لم نتطرق في بحثنا إلى التعمية البديعية التي حفلت بها كتب البلاغة المتأخرة، وأفردت لها رسائل كثيرة بدءًا من رسالة *الحلل المطرّز في فنّي المعمّى واللغز* لعلي بن محمد اليزدي (٤٨٠ ه) ومرورًا برسالة "كنْز الأسمى في كشف المعمى" لمحمد بن أحمد القطب المكّي (٩٨٨ ه) وانتهاءً برسالة *تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز* للشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ –١٣٣٨ه).[٣]

١. الإحصاء اللغوي

اعتمد علماء التعمية في منهجية استخراج المعمَّى على طريقتين، سمَّـوا الأولى الطريقة الكمية والأخرى الطريقة الكيفية. أما الأولى فأرادو بها تحديد مراتب الحروف في الاستعمال، أي دورانها في الكلام، أيُّها أكثر دورانًا، وأيُّها أقل، وقد سلكوا من أجل ذلك سبيل الإحصاء اللغوي، إذ أحصوا نصوصًا في العربية، ليحددوا هذه المراتب. وكان أسبقهم إلى ذلك فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ)[٤] في رسالته في استخراجِ المُـعَمَّى.

---

٣ انظر ملحق أعلام فَنِّ المُعَمَّى البديعي في كتاب *علم التعمية* (مراياتي، مير علم & الطيان، ١٩٨٧: ٣٦٩ –٣٧٢). يشتمل الملحق على خمسة عشر علمًا مع أسماء رسائلهم الخاصة بالمعمى البديعي. وقد فرغت مؤخرا من تحقيق رسالة *كشف المُغَمَّى عن أصول المُعَمَّى* لمحمد مرتضى الزَّبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ = ١٧٣٢ – ١٧٩٠ م) وستنشر في *مجلة البيان* الكويتية.

٤ يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ الصباحِ بنِ عمرانَ بنِ إسماعيلَ الكِنْدِيّ، أبو يُوْسُفَ، وُلِدَ بالكوفةِ، وكان أبوه أميراً عليها في عهدِ الخليفةِ العباسيّ المهديّ، ونشأ في البصرةِ، وانتقلَ منها إلى بغدادَ، حيثُ حصَّلَ جُلَّ علومِه، فبرعَ بالطِّبِّ، والفلسفةِ، والحسابِ، والمنطقِ، والهندسةِ، والفلكِ، وغيرِها من علومِ ذلك العصرِ، وحاز مكتبة كبيرة سميت بالكندية. أصابَ الكنديُّ منْزلةً عظيمةً وإكراماً بالغاً لدى خلفاءِ بني العباسِ المأمونِ والمعتصمِ وابنه أحمد، وتُوفّي الكِنْدِيّ سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م. انظر: ابن النديم ٣٧١–٣٧٩، ابن جلجل ٣٣٧، الزركلي ٨/ ١٩٥.

تحدثَ الكنديُّ في صدرِ رسالتِه عن مراتبِ الحروفِ في الاستعمالِ، وضرورةِ معرِفتها ليتسنَّى للمرءِ استخدامُها في استنباطِ المُعَمَّى، وأشار إلى أنها تختلفُ من لسانٍ إلى آخرَ، ثم عمد إلى ذكرِ مراتبِ الحروفِ في العربيةِ استناداً إلى إحصائيةٍ قام بها بنفسِه، ولعله أولُ إحصاءٍ من هذا النوعِ في تاريخِ الدراساتِ الكمّيَّة على اللغةِ،[٥] ولا شك أنه أفاد من إحصائيات حروف القرآن الكريم – التي سبقت عصر ه – وقد يكون لها أثرٌ في تنبُّهِهِ على ظاهرةِ مراتبِ الحروفِ هذه. وفيما يأتي نص كلامه:

"فإذْ قد أنبأْنا عن ذلك فلنذكر الآن مراتبَ الحروفِ في الكثرةِ والقلَّةِ في اللسانِ العربيّ، فنقولُ:
إنَّ الألفَ أكثرُ ما استعملَ في اللسانِ العربيِّ من الحروف، ثم ل، ثم م، ثم ه، ثم و، ثم ي، ثم ن، ثم ر، ثم ع، ثم ف، ثم ت، ثم ب، ثم كـ جميعاً فإنهما سواء، ثم د، ثم س، ثم ق، ثم ح، ثم ج، ثم ذ، ثم ص، ثم ش، ثم ض، ثم خ، ثم ث، ثم ز، ثم ط، والغين سواء، ثم ظ. فإذا أصبْنَا في سبع ورقاتٍ من العربيِّ:

٦٠٠ ألف	٤٣٧ لاماً	٣٢٠ ميماً	٢٧٣ هاءً
٢٦٢ واواً	٢٥٢ ياءً	٢٢١ نوناً	١٥٥ راءً
١٣١ عيناً	١٢٢ فاءً	١٢٠ تاءً	١١٢ باءً
١١٢ كافاً	٩٢ دالاً	٩١ سيناً	٦٣ قافاً
٥٧ حاءً	٤٦ جيماً	٣٥ ذالاً	٣٢ صاداً
٢٠ خاءً	١٧ ثاءً	١٥ طاءً	١٥ غيناً وثماني ظاءات

وقد كنَّا قلْنا متقدِّماً: إنَّ المصوِّتةَ أكثرُ الحروفِ بالطبعِ في كلِّ لسان، إذ هي موضوعٌ، وصور الحروفِ موجودةٌ مع باقيها من الحروف. وقد ظهرَ هاهنا أنَّ اللامَ أكثرُ في اللسانِ العربيِّ من الياءِ والواو، وكذلك الهاء، وليسَ ذلك بمناقضٍ لما قدَّمْنا لأنَّ المصوتةَ في اللسانِ العربيّ، إنَّما تظهرُ في الخطِّ إذا كانَتْ عظاماً، فأمَّا صغارُها فإنَّها لا تظهرُ في الخطِّ العربيّ، إلا أن تكونَ في أولِ الكلمةِ أو الصفةِ أو التصريفِ أو آخرِ ذلك. فإنَّ واوَ (مُحَمّد) التي فيما بين الميمِ والحاءِ لا تظهرُ في الخطِّ العربيِّ لأنَّها صغيرةٌ، وكذلك ألفُ

[٥] انظر مير علم: ص٤٢ وما بعدها.

(محَمّد) التي فيما بين الحاءِ والميمِ الأخرى – التي فيما بين الحاءِ والدالِ– وألِفُهُ التي بين الميمِ والدال، فإنَّها صغارٌ، فلذلك لم تظهرْ في الخطِّ كما بيّنَّا في كتابِنا (في صناعةِ الشعرِ) فجميعُ المصوِّتةِ الصغارِ تسقطُ في العربيّ. فلذلك توجدُ بعضُ الحروفِ الخرسِ – أعني التي ليسَتْ بمصوِّتةٍ – في اللسانِ العربيِّ أكثرَ من بعض المصوِّتَة" (الكندي: ١/ ١٦٩-١٧١).

والذي يستحقُّ منا وقفةً تعقيبُهُ على تقدم اللامِ على الياءِ والواوِ مع "أن الحروفَ المُصَوِّتةَ أكثرُ الحروفِ بالطبعِ في كلِّ لسانٍ" (الكندي: ١/ ١٧٠) بأن المقصود بالمصوتة نوعاها العظام والصغار، وهي حقيقةٌ علميةٌ أثبتْها الدراساتُ اللسانيةُ اللاحقةُ في كلِّ اللغاتِ، وأكَّدها الكنديُّ شارحاً مقصودَه من الحروفِ المصوِّتة، فهي تشملُ حروفَ المدِّ الثلاثةِ أو المصوتاتِ العِظامَ، والحركاتِ الثلاثَ أو المصوِّتاتِ الصِّغارَ، وهذه الأخيرةُ لا تظهرُ في الخطِّ العربي ولهذا ما كان من تقدُّم مرتبةِ اللامِ على الواوِ والياءِ. ويبيِّن الكنديُّ عدمَ ظهورِ المصوِّتاتِ الصغار بتحليلِ حركاتِ كلمةِ (مُحَمَّد) فالضمةُ واوٌ صغيرةٌ، والفتحةُ ألفٌ صغيرةٌ، والجدول ١ يوضِّحُ مصطلَح الكنديّ في المصوِّتات.

الجدول ١: مصطلح الكنديّ في المصوِّتات

الـمُصَوِّتةُ العِظام (حروف المد)	الألف العظمى	الواو العظمى	الياء العظمى
الـمُصَوِّتةُ الصِّغار (الحركات)	الألف الصغرى (الفتحة)	الواو الصغرى (الضمة)	الياء الصغرى (الكسرة)

وتقسيمُ الكنديُّ هذا هو ما أخذ به ابنُ سينا في كتابِه *أسباب حدوث الحروف*[٦] وهو عينه ما تأخذُ بهِ أحدثُ النظرياتِ الغربية في علومِ الصوتياتِ حيث قسمت المُصوِّتاتِ إلى: طويلةٍ "long vowels" وقصيرةٍ "short vowels".

وثمةَ تقسيمٌ آخرُ للحروفِ عامةً كان الكنديُّ قد ذكره في الفصلِ الأولِ من رسالته في استخراج المُعَمَّى باسم: "الحروف المصوِّتة والتي ليست بمصوِّتة" (الكندي: ١/ ٢١٥) ثم أعاد ذكرَ هذه الأخيرةِ هنا باسم

٦ انظر ابن سينا: ص٨٤-٨٥ و١٢٦.

"الحروف الخُرْس" (الكندي: ١/ ٢٣٧) وهو اصطلاحٌ شاعَ بين المتقدمينَ باسم "الحروف الصامتة"[٧] ومازال يحملُ هذا الاسمَ حتى يوم الناسِ هذا، ويقابلُه عند الغربيينَ: "consonants".

ويجدرُ بنا أن ننبِّه على أن مراتبَ الحروفِ عند الكنديّ غدتْ أصلاً اقتبسَ منه علماءُ التعميةِ من بعدِه، أمثال ابنِ دُنَيْنيرٍ[٨] وابنِ عدلانَ[٩] وابنِ الدُّرَيْهِم[١٠] وغيرهم، والجدول ٢ يبيِّن مقدار تطابقِ هذه المراتبِ عندهم.

الجدول ٢: مراتب الحروف لدى الكندي مقارنة بنظيرها لدى علماء التعمية من بعده[١١]

مراتب الحروف	الكنديّ ابن عدلان ابن دُنَينير	ابن وهب الكاتب	الجرهمي	صاحب المقالتين	ابن الدُّرَيْهِم
١	ا	ا	ا	ا	ا
٢	ل	ل	ل	ل	ل
٣	م	م	م	م	م

٧ انظر ابن سينا: ص٨٣-٨٤.

٨ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن دنينير – مصغّر دينار – اللخْمي القابوسي، ولد سنة ٥٨٣هـ-١١٨٧م، وعاصر زمان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، صاحب حلب وأعمالها (المتوفى سنة ٦١٣هـ). تنقّل ابن دنينير بين البلاد الشامية والديار المصرية، وامتدح جماعة من ملوكها وكبرائها، وله ديون شعري وكتابان في التعمية هما: *الشهاب الناجم في علم وضع التراجم*، و*مقاصد الفصول المترجمة عن حلّ الترجمة*. وتوفي سنة ٦٢٧هـ-١٢٢٩م. انظر: التبريزي ٦/ ١٢٦، الزركلي ١/ ٦٢، كحّالة ١/ ٨١.

٩ عليُّ بنُ عدلانَ الموصليُّ النحويُّ المُتَرْجِمُ، ولد بالموصل سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وسمعَ ببغدادَ. أخذَ النحوَ عن جماعةٍ يقدُمُهم أبو البقاءِ العُكْبَري، ثم أقرأ العربيةَ زماناً وسمعَ منه كثيرون، وتصدَّرَ بجامعِ الصالحِ بالقاهرةِ، ومات فيها سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م. كان أعجوبةً في الذكاءِ رأساً في الأدبِ، شاعراً مجيداً، . وله مصنَّفات منها: *الانتخابُ لكشفِ الأبياتِ المشكلةِ الإعرابِ*، و*عُقْلَةُ المُجتازِ في حلِّ الألغازِ*، و*المُؤَلَّفُ للملكِ الأشرفِ*. انظر: الكتبي ٣/ ٤٣-٤٦، الزركلي ٤/ ٣١٢.

١٠ عليُّ بنُ محمدِ المعروفُ بابنِ الدُّرَيْهِم. وُلِدَ سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م بالموصلِ، وتنقَّلَ تاجراً بينَ دمشقَ والقاهرةِ غيرَ ما مرةٍ، ورُتِّبَ مدرساً في الجامعِ الأمويِّ بدمشقَ، ثم دخلَ مصرَ سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م. وماتَ سنةَ ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م. كانت له مشاركةٌ في علومٍ عِدَّةٍ كالفقهِ والحديثِ والأصولِ والقراءاتِ والتفسيرِ والحسابِ، وذلك إضافة لِمَا عُرِفَ به من براعةٍ في الأحاجي والألغازِ وحلِّ المُتَرْجَمِ والأوفاقِ والحروفِ وخواصِّها، وخلَّفَ مصنَّفاتٍ كثيرةً، منها: *إيضاح المُبْهَم في حلّ المترجم*، و*سبر الصرف في سرّ الحرف* و*مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز*. انظر: الصفدي ١٩٩٨: ٩٤/ ب-٩٥/ ب، العسقلاني ٣/ ١٠٦- ١٠٨، الزركلي ٥/ ٦.

١١ انظر مرياتي، مير علم & الطيان ١/ ١٢١-١٢٤.

٤	ه	ي	ن	ي	ي
٥	و	و	ه	ن	و
٦	ي	ه	و	و	ن
٧	ن	ن	ي	ه	ه
٨	ر	ر	ب	ر	ر
٩	ع	ع	د	ع	س
١٠	ف	ف	ر	ف	ب
١١	ت	ت	ف	ب	ك
١٢	ب	ب	ق	ت	ت
١٣	ك	ك	ك	ك	ع
١٤	د	د	ت	د	ف
١٥	س	س	ج	س	ق
١٦	ق	ق	ح	ق	د
١٧	ح	ح	س	ح	ذ
١٨	ج	ج	ع	ج	لا
١٩	ذ	ذ	ص	ص	ح
٢٠	ص	ص	ش	ذ	ج
٢١	ش	ش	ط	خ	ص
٢٢	ض	ض	ث	ش	خ
٢٣	خ	خ	خ	ث	ش
٢٤	ث	ث	ذ	ز	ض
٢٥	ز	ز	ز	ط	ز
٢٦	ط	ط	ض	غ	ث
٢٧	غ	غ	ظ	ظ	ط
٢٨	ظ	ظ	غ	ض	غ
٢٩					ظ

وتجدر الإشارة إلى أن ابن عدلان في رسالته *المؤلف للملك الأشرف* ذكر في القاعدة الأولى مراتب الحروف، وقسمها إلى ثلاثة مراتب، ونص على عدد كلّ منها، وأتبع ذلك بما يجمع حروف كل مرتبة، ولا يعني ذلك أن ابن عدلان اعتمد في ذلك على سابقيه، لأنه ذكر أنه أحصى الحروف في نص يقع في ستمئة حرف، فذكر مبلغ كلٍّ منها موزعة على المراتب الثلاث (انظر الجدول ٣)، وهي عنده:

الكثيرة: سبعة حروف يجمعها (الموهين).

المتوسطة: أحد عشر حرفاً يجمعها (رعفت بكدس قحج).

القليلة: عشرة حروف، هي: (ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ)[١٢] وقد جمعها ببيت شعر وقعت في أوائل كلماته:

ظلمٌ غزا طابَ زوراً ثاويــاً خَوْفَ ضَنًى شِبْتَ صَبًّا ذاويــا

الجدول ٣: مراتب الحروف لدى ابن عدلان في رسالته *المؤلف للملك الأشرف*

المراتب	العدد	الحروف	ما يجمعها
الكثيرة	٧	ا ل م ه و ي ن	المهوين
المتوسطة	١١	ر ع ف ت ب ك د س ق ح ج	رعفت بكدس قحج
القليلة	١٠	ذ ص ش ض خ ث ز ط غ ظ	حروف أوائل كلمات البيت: ظلمٌ غزا طاب زوراً ثاويا خَوْفَ ضَنًى شِبْتَ صَبًّا ذاويا

٢. الائتلاف والاختلاف الصوتي

وهو البحثُ في نَسْجِ الكلمةِ العربية، وما يمكنُ أن تُبنى منه وما لا يمكنُ، مِمَّا ينضوي تحت علمِ قوانينِ الألفاظِ المفردةِ، الذي وصفه أبو نصر الفارابي في كتابه *إحصاء العلوم* بقوله: "وعلمُ قوانينِ الألفاظِ المفردةِ يفحصُ أولاً في الحروفِ المعجمةِ عن عددِها، ومن أين يخرجُ كلُّ واحدٍ في آلاتِ التصويتِ، وعن الـمُصَوِّتِ منها

١٢ انظر: مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٦٠.

وغيرِ الـمُصَوِّتِ، وعمَّا يتركبُ منها في ذلك اللسانِ وعمَّا لا يتركبُ، وعن أقلِّ ما يتركَّبُ منها حتى حدث عنها لفظةٌ دالَّةٌ، وكم أكثرُ ما يتركَّبُ، وعن الحروفِ الذاتيةِ التي لا تتبدلُ في بنيةِ اللفظِ عند لواحقِ الألفاظِ من تثنيةٍ وجمعٍ وتذكيرٍ وتأنيثٍ واشتقاقٍ وغير ذلك..."[١٣]

والحق أن علماء التعمية عُـنُـوا بهذا العلم عناية بالغة، وسجلوا فيه حقائق ودقائق لم نكد نجدها في كتب اللغة المتخصصة ومعجماتها المختلفة، آية ذلك أنهم فصلوا الكلام أولا على المصوتات، إذ فرَّقوا بينها وبين الحروف الصامتة، أو الحروف الخرس بتعبير الكندي، وبيَّنوا أن لها نوعين كما تقدم.

على أن أبرز ما تبدَّت فيه هذه العناية تلك القوانين التي عرضت لتنافر الحروف في العربية، وتتبع فيها علماء التعمية كل الثنائيات التي لا تأتلف في كلام العرب، فما من ثنائية تتنافر إلا وقد ذكروها، حتى لقد أربَـتْ قوانين التنافر عندهم على المئة، وكان أولهم وأقدمهم في التقعيد لكل هذا الكندي في رسالته في استخراج المعمى، إذ ذكر ذلك تحت ما أسماه بـ "الحيلة الكيفية" وهذا نص كلامه:

"فأمَّا إذا قصُـرَ الكتابُ فإنَّ التكافؤَ يقـلُّ فيهِ، ولا تصدقُ مراتـبُ الحروف، فينبغي أن يُستعمل في استنباطِ الحروفِ **حـيلةٌ ثانيـةٌ مـن الكيفيَّة**، وهي أن يُعرفَ ما في اللسـانِ الذي قُصدَ لاستنباطِ المعمَّى فيهِ من الحـروفِ التي يأتلفُ بعضُها ببعضٍ، والحروفِ التي لا يأتلـفُ بعضُها ببعض، فإذا وقـعَ النظرُ، وما تشـهدُ عليـهِ مراتبُ العـددِ في الكثرةِ والقلّةِ، على حرفينِ منها، نُظِرَ هـل هـما مما يأتلفُ في ذلك اللسـانِ أم لا ؟ فإن كانا مِمّا يأتلفُ طُـلِبَ كلُّ واحـدٍ منهما في موضـعٍ آخر، ونُظِـرَ إلى ما يقارنُ كـلَّ واحـدٍ منهما من أمامِهِ ومن خلفِهِ، فيُستعملُ فيها الاستنباطُ لمراتبِ الحروفِ أيضاً، ثم يُنظـرُ هـل هي مِمَّا يقـارنُ ذلك الحـرفَ أم لا ؟ فإن كانَتْ جـميعاً ممَّا يقارنُ ذلك الحـرف نُظـرَ إلى ما يقارنُ الحرفَ الثاني من أمامِـهِ ومن خلفِـه، فإن كانَتْ مما يقارنُهُ فهي الحروفُ المظنونة، وإن خالفَ ذلك فليسَ هي الحـروفَ المظنونـة، فإن وقفَ الظـنُّ على أنَّها الحروفُ المظنونةُ التي دلَّ عليها اقترانُ الحـروفِ وتباينُها ومراتبُها في الكثرةِ والقلّـة، عُرِضَـت على الألفـاظِ حتَّى تظهـرَ بها لفظـةٌ، ثمَّ يُستعملُ الطلبُ في موضـعٍ آخـرَ من

١٣ وهذا العلم واحد من سبعة علوم تنتمي إلى علم اللسان، ذكرها الفارابي مفصَّلة في كتابه *إحصاء العلوم* ص٥-١١.

الكتابِ هذا الاستعمال، فإن اتَّفقَ ما يظهرُ من اللفظِ استُعمِلَ الطلبُ في موضعٍ آخرَ أيضاً من الكتابِ هذا الاستعمالَ حتى يظهرَ أجمعُ، بتوفيقِ الله" (الكندي ١/ ١٥١).

ويستهلُّ الكنديُّ كلامه على هذه الحيلة بوضعِ القواعدِ الأساسيةِ التي ينطلقُ منها لتحديدِ ما يقترنُ من الحروفِ وما لا يقترنُ، وتتلخَّصُ هذه القواعدُ بتقسيمِهِ حروفَ العربيةِ إلى:

- **أصليَّةٍ**: وهي ستة عشر حرفاً، لا تكونُ زائدةً بوجهٍ من الوجوهِ.

-**ومتغيرةٍ**: وهي اثنا عشر حرفاً،[١٤] تضمُّ حروفَ الزيادةِ بالإضافةِ إلى الباءِ والفاءِ والكافِ، وتكونُ أصليةً تارةً وزائدةً تارةً أخرى. ومن هذه الحروفِ الأصليةِ والمتغيِّرةِ -عندما تكونُ أصليةً- تتألفُ بنيةُ الجذرِ المجرَّدِ أو "الاسم" كما دعاه الكنديُّ، وهو يعبِّر عن معنىً مجرَّدٍ، فإذا دخلت عليه بعضُ الزوائدِ -وهي من المتغيِّرةِ بالطبعِ- صار: "كلمةً". والكلمةُ تتصرفُ في الأزمانِ، والأعدادِ، والتأنيث، والإضافةِ، والتشبيهِ، والعِلَّةِ، والنَّسَقِ بلحاقِ[١٥] الزوائدِ المناسبةِ لكلٍّ معنىً من هذه المعاني بها، فتصبح: "تصريف الكلمة".

بعد هذه القواعدِ الأساسيةِ يشرعُ الكنديُّ في ذكرِ قوانينِ امتناعِ اقترانِ الحروفِ العربيةِ، وهو يحصرُ هذه القوانينَ بالحروفِ الأصليةِ وحرفِ السينِ من المتغيِّرةِ، ثم يستعرضُها حرفاً حرفاً حسبَ الترتيبِ الهجائيّ، ويذكرُ مع كل حرفٍ ما لا يقترنُ معه من الحروفِ، ويضعُ كلَّ ذلك في جداولَ على طريقتهِ في التوثيقِ وحسنِ الإفهامِ، حتى إذا فرغ ممَّا يمتنعُ اقترانُه ذكرَ ما يقترنُ من الحروفِ "ليكونَ القولُ بيِّناً".

هذا وقد بلغ مجموعُ حالاتِ التنافرِ بين الحروفِ - أو ما لا يقترن - التي أتى الكنديُّ على ذكرِها أربعاً وتسعين حالةً، وهو عددٌ لا يستهانُ به في تلكَ الفترةِ المبكرةِ من تاريخ دراساتنا اللغويةِ البنويةِ، ولا نعلمُ أحداً من

١٤ لأن الكندي يعد الهمزة والألف حرفا واحدًا كما سيأتي.

١٥ المعاني الثلاثة الأخيرة: التشبيه، والعلة، والنَّسَقُ، يُعَبَّرُ عنها بالأحرف الثلاثة التي أضافها الكندي على حروف الزيادة المعروفة، فالكاف للتشبيه، والباء للعلة، والفاء للنسق. والجدير بالذكر أن الكنديّ **يعدُّ الهمزة والألف حرفاً واحداً**، وعليه فالزوائد تسعة أحرف، تضاف إليها هذه الثلاثة فتغدو اثني عشر حرفاً، وهي مجموع الحروف المتغيرة.

علماءِ العربيةِ سبقَهُ إلى ذلك. وقد عمدنا فيما يلي إلى وضعِ جدولٍ مفصَّلٍ يستوفي جميعَ هذه الحالاتِ (انظر الجدول ٤).[١٦]

الجدول ٤: تمثيل ما لا يقترن من الحروف عند الكندي

الحرف	الرمز	ما لا يأتلف معه				
س	←	ث	ذ	ص	ض	ظ
س	→	ث	ذ	ص	ض	ظ
ث	←	ذ	ز	ص	ض	ظ/س
ث	→	ذ	ز	ص	ض	ظ/س
ث	←	ش				
ذ	←	ز	ص	ض	ط	ظ/س
ذ	→	ز	ص	ض	ط	ظ/س
ذ	←	ش	غ			
ز	↔	ص	ظ	س		
ز	←	ش	ض			
ز	→	ط				
ص	↔	ض	ط	ظ		
ص	←	ج	ش			
ص	→	د				
ض	↔	ط	ظ	ش		
ض	←	ق				
ض	→	د				
ظ	↔	ط	ج	د		
ظ	←	ح	ق	ش	خ	
ج	←	ط	غ	ق		
ج	→	ط	غ	ق		
ح	↔	خ	ع	غ		
خ	↔	غ				
خ	→	ع				
د	←	ز	ط			
ش	→	س				
ع	↔	غ				
غ	→	ق				

الثنائيات الناتجة - عديمة الائتلاف				
س ث	س ذ	س ص	س ض	س ظ
ث س	ذ س	ص س	ض س	ظ س
ث ذ	ث ز	ث ص	ث ض	ث ظ/ث س
ذ ث	ز ث	ص ث	ض ث	ظ ث/س ث
ث ش				
ذ ز	ذ ص	ذ ض	ذ ط	ذ ظ/ذ س
ز ذ	ص ذ	ض ذ	ط ذ	ظ ذ/س ذ
ذ ش	ذ غ			
ز ص	ص ز	ز ظ	ظ ز	ز س/س ز
ز ش	ز ض			
ط ز				
ص ض	ض ص	ص ط	ط ص	ص ظ/ظ ص
ص ج	ص ش			
د ص				
ض ط	ط ض	ض ظ	ظ ض	ن ش/ش ض
ض ق				
د ض				
ظ ط	ط ظ	ظ ج	ج ظ	ظ د/د ظ
ظ ح	ظ ق	ظ ش	ظ خ	
ج ط	ج غ	ج ق		
ط ج	غ ج	ق ج		
ح خ	خ ح	ح ع	ع ح	غ ح/ح غ
خ غ	غ خ			
ع خ				
د ز	د ط			
س ش				
ع غ	غ ع			
ق غ				

والحق أن مباحث الصوت في رسائل التعمية تتعدى هذا إلى أن تشمل بعض الأساسيات في علم الأصوات كمخارج الحروف التي عرض لها ابن وهب الكاتب في كتاب *البرهان في وجوه البيان*[١٧] وهو يقسمها إلى ثلاثة عشر مخرجاً خلافاً لسيبويه وخالِفيه في تقسيمها إلى ستة عشر مخرجاً.

١٦ انظر: الطيان ٢٠١٨: ص٢٣٢. والسهم في الجدول يشير إلى جهة التنافر، بتقديم الحرف الذي في المربع الأول على ما لا يأتلف معه: ← ، أو بتأخيره: → ، أو بتقديمه وتأخيره معا: ↔ .

١٧ انظر رسالة ابن وهب المستلة من كتابه محققة (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٨٥ – ١١٩) ولم نقف له على ترجمة.

إن ما أجمله ابن وهب من أمر المخارج يفضي به إلى عرض جملة من القوانين الصوتية التي تطابق أحدث النظريات في علم الصوتيات مثل:

أ- علة عدم الائتلاف أو التنافر

ب- الجهد الأقل "the least effort"

ج- المماثلة "assimilation".

ثم يبين ابن وهب بعض حالات الإدغام وأحكامه لينتهي منها إلى الكلام على بعض ظواهر ائتلاف الحروف واختلافها مما كان أجمله قبلاً، ووقفنا عليه بالتفصيل في غير رسالة من رسائل التعمية، بيد أن كلام ابن وهب هنا يمتاز بميزتين هما:

١- تفريقه بين مصطلحي المقارنة والمجاورة، فالمقارنة لا تكون إلا في أصل بناء الكلمة، في حين تكون المجاورة في الحروف الزائدة، فالكاف لا تقارن القاف لكنها تجاورها في مثل كلمة (كقولك) لأن الكاف زائدة للتشبيه وليست من أصل الكلمة.

٢- تفصيله الكلام على بعض حالات التنافر، وتعليله بعضها، كقوله: "وأما الجيم والشين والضاد فلأن بعضها أطول مدى في المخرج من بعض، وأن مراتب بعضها دون بعض في مخرجها تقارنت في بعض أحوالها..." (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٩٨ – ١٠٠ ، ١١٤ – ١١٦).

٣. البنية الصرفية

تبدَّت عناية أرباب التعمية بالبنية الصرفية في محاولتهم تحديد طول الكلمة العربية، وحدّ هذا الطول، أعني أقصر الكلمات، وأطولها، وما يدخل فيها من حروف الزيادة، والحروف الذلقية، ومبلغ تكرار الحرف في كلمة واحدة دون فاصل، وكذا مبلغ تكرره في كلمات متعددة دون فاصل.

ولعل ابن الدريهم من أكثر أرباب التعمية عناية بالصرف، حتى لقد أفرد له في رسالته *مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز* حيِّزًا يحسن أن أورده بتمامه لما اشتمل عليه من أحكام صرفية وفوائد في علم الصرف لا نكاد نقع عليها في كتب الصرف المتخصصة:

"[مطلب مقدمة صرفية][18]

وهي أن كلام العرب أقلُّه على حرفٍ واحد، مثل (إ، فِ، قِ، دِ، عِ). في الأمر من اللفيف المقرون،[19] ماضيه (وأى، وفى، وقى، ودى، وعى). وعلى حرفين مثل (قُمْ، كُلْ) فالأول من الأجوف، ماضيه (قام). والثاني من المهموز الفائي، ماضيه (أكل). ومن الحروف نحو (من، في، رب، هل، بل) وما أشبه ذلك. ومن الأسماء المبنية مثل (ذي، ذا، مَنْ، كَمْ). والضمير مع حرف الجرّ، مثل (بك، وله). وعلى ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة في الحروف والأفعال والأسماء.

ثم تدخل أحرف الزيادة العشرة (هويت السِّمان). وجمعها الشيخ جمال الدين بن مالك في بيت واحد أربع مرات:

هناءٌ وتسليمٌ تلا يومَ أُنْسِهِ نهايةُ مسؤولٍ أمانٌ وتسهيلُ

وثلاثة أحرفٍ أُخر: الفاء، وباء الجرّ، وكاف التشبيه وكاف الخطاب. إلى أن تبلغ الكلمة أربعة عشر حرفاً. وليس قولي "الكلمة" على اصطلاح النحاة، إذ كل ضمير عندهم كلمة، بل على اصطلاح الكتّاب، وما عَدّوا عليه المصحف، كقولك مخاطباً لرجلين لهما بساتين أو جنينة (أَفَلِمُسْتَرَاحاتِكُما أَعْدَدْتُماها). ومثله (أَفَلِمُسْتَنْزَهاتِكُما). وهاتان إذا ترجمتا بما تقدّم من هجاء الحروف تبلغ الأولى سبعة وثلاثين حرفاً، والثانية ثمانية وثلاثين.

واعلم أنه ليس في كلام العرب كلمة رباعية الأصل أو خماسية ليس فيها حرف من الحروف الذَّلَقِيّة:[20] كاللام، والنون، والراء. والشفوية: كالفاء، والميم، والباء. إلاّ ما شذّ مثل (عسجد) من أسماء الذهب.

ونهاية الأسماء العربية قبل الزيادة خمسة، وشذّ مثل (عندليب). والأفعال قبل الزيادة أربعة.

---

١٨ كُتب هذا العنوان على هامش الأصل بخط مغاير له، وتحسن الإشارة إلى أن جلّ ما نثره المؤلف من فوائد ضمن هذه المقدمة الصرفية يندرج في صبح *الأعشى* ٩/ ٢٣٤ وما بعدها في الأصل الأول من أصلين يحتاجهما الناظر في حلّ المترجم وهو خاصّ بـ"معرفة الأسّ الذي يترتب عليه الحلّ، والذي تمسّ إليه الحاجة من ذلك سبعة أمور" يوردها بعد ذلك ثم يتبعها بالأصل الثاني الخاصّ بـ "كيفية التوصل بالحدس إلى حلّ المترجم".

١٩ كذا في الأصل، ولعله سهو من الناسخ، لأن الأمثلة من اللفيف المفروق. وانظر بحث الطيان (٢٠١٢) فيه كل أفعال اللفيف المفروق بمعانيها وشواهدها، وما قاله العلماء فيها.

٢٠ هناك حديث مفصل عن الحروف الذلقية والشفوية في *كتاب العين* للخليل ١/ ٥٧، ورسالة *الاشتقاق* لابن السراج ص٣٤، وجمهرة *اللغة* لابن دريد ١/ ٦، و*تهذيب اللغة* للأزهري ١/ ٤٤، و*لسان العرب* لابن منظور في المقدمة ص١٣.

وليس في القرآن كلمةٌ خماسيةُ الأصل سوى الأسماء العجمية مثل (إبراهيم).

واعلم أنه لا يمكن أنْ يتكرّر حرفُ كلمةٍ واحدة أكثر من خمسة، كقوله (ما رأينا كُكَكاً كَكُكَكِكَ)[٢١] الأوّلُ للتشبيه، والآخر للخطاب. وكُكَك جمع كُكَّة،[٢٢] وهي المركب الكبير، مثل: عكّة وعُكَك،[٢٣] وغُلّة وغُلَل.[٢٤]

وأربع كافات في كلمة (كَسَكَكِكَ).[٢٥] ومثله (كَعُكَكِكَ وكَكَعْكِكَ).

وقد يتشاكل حرفٌ واحد من كلمات متفرّقة إلى أنْ يبلغ تسعةً كمثل قوله:

لا تُرَدِّدْ دَدُ دَدْ دَدُ دَعْني مِن فَنَد

فَـ(دَدُ) الأولى: اللعب، والثانية: موضع، والثالثة: اسم رَجل منادى" (مراياتي، مير علم & الطيان ١/ ٣٤٣).

وقد ذكر ابن دُنَيْنِير في كتابه *مقاصد الفصول المُتَرْجِمَة عن حَلِّ التَّرْجَمة* (مراياتي، مير علم & الطيان ١٩٩٧) كثيراً مما جاء عند ابن الدريهم هنا، وزاد أمورًا تتعلق بالكتابة ورسم الحروف، وإن كان لبعضها مِساسٌ بالصرف والتصريف، منها:

- الألف واللام، وهما أكثر حروف العربية دوراناً واقتراناً أو ائتلافاً؛ لأنهما يردان للتعريف، والتعريف سمة الأسماء الغالبة.
- والكلمات التي على حرفين ثم التي على ثلاثة فأربعة...
- وما يكتب ولا يقرأ، (كالألف الفارقة وواو عمرو).

---

٢١ لعلّ هذه العبارة مقتطعة من أبيات تنسب إلى المفشرانيّ -وهو زجّال مصري- يقول فيها:

يا سابحاً في بُرَكْ وصائداً في شبكِكْ

لا تحقرنَّ كُكَكِي فكُكَكِي كَكُكَكِكْ (الأزدي ١/ ٣٨).

٢٢ لم نعثر على هذه الكلمة في المعاجم على كثرة البحث.

٢٣ العكّة (بضم العين): آنية السمن، أصغر من القربة، والجمع عُكَك وعِكاك.

٢٤ الغُلّ والغُلّة والغلل والغليل، كله شدة العطش وحرارته.

٢٥ السَّكك: الصمم.

- وما يقرأ ولا يكتب، كألفات بعض الأسماء (كاسم الله والرحمن وإبرهيم والحرث) وأسماء الإشارة (كهذا وذلك وأولئك)...
- الواو والياء، وتقليب أحوالهما مع الحركات المختلفة...
- الهمزة، وبعض حالاتها المشكلة في حال توسطها... كالأفئدة والموءودة ومفؤودة... (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢١٣).
- الحروف السوابق، كالواو والفاء والباء، وهذا وإن كان أعلق بالنحو لما لهذه الحروف من معان مختلفة يبحث عنها في علم النحو عادة، إلا أن له مِساسًا بالصرف أيضا لأنه يتصل بالكلمة المفردة ويشكل معها كلمة واحدة أو مقطعًا كالكلمة الواحدة (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢١٣).
- الحروف اللواحق، كالتاء مفردةً، ومتصلةً بالألف، أوالهاء مع الألف.(في مثل قامت وسارتا وضربتها).
- تكرار الحروف تتابعاً ودون تتابع، (كما في قلل وهمم ومسدد).
- صيغ الكلمات مع الألف واللام (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٠٦).

٤. أحكام نحوية

وهي أحكام متناثرة ذكرها بعض أرباب التعمية استكمالا لأدوات استخراج المعمى. فمن ذلك ما ذكره ابن دنينير في الفصل ٤٨ من كتابه عن بعض حروف المعاني كالواو والفاء والباء.. إذ بيَّن أقسام كلٍّ منها بقوله:

"وينبغي أن يعرف الواواتِ، فإنّها تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ: واو العطف، وواو الحال، وواو مع، وواو ربّ، وواو القسم. وقد ذهبَ بعضُهم إلى واو الثمانية.

ويعرفَ الفاءَ، وتنقسم إلى ثمانيةِ أقسامٍ: فاء التعقيب، وسبعة تقع جواباً، فالفاء لجوابِ الأمر، والفاء لجوابِ النهي، والفاء لجوابِ النفي، والفاء لجوابِ الاستفهام، والفاء لجواب التمني، والفاء لجواب العرض، والفاء لجواب الدعاء.

والباء تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: أن تكونَ حرفَ جرّ فتجرّ كلّ ما اتصلَتْ بهِ، والآخرُ أن تكون حرفَ قسمٍ، والمعنى فيهما سواء، وقد تقعُ حكايةً في مثل قولِهِ:

والله ما ليلي بِنَامَ صاحِبُهْ ولا مُخالِطِ اللّيَانِ جانِبُهْ

وأمَّا الكافُ فتنقسمُ إلى قسمينِ: الكافُ الزائدةُ، وهي حرفٌ يجرُّ ما يتّصلُ به. وكافُ الضمير.

وأمَّا اللامُ فتنقسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: لامٌ تكونُ حرفَ جرٍّ تجرُّ ما بعدها ممّا تتصلُ به، ولامٌ تكون لامَ الابتداءِ، ولامُ التأكيدِ، وقد تقعُ أيضاً في خبرِ "إنّ" المكسورةِ مؤكدةً.

والألفُ واللامُ تكون كثيراً في مثلِ قولِكَ: هذا الرجلُ والنساءُ، ورأيتُ الرجلَ والنساءَ، ومررتُ بالرجالِ والنساءِ... هذه الحروف لأنَّ الألفَ واللامَ أقوى الاستدلالاتِ على الاستنباطِ. وقد يكونُ قبلها واواتٌ وفاءاتٌ وباءاتٌ وكافاتٌ زوائدُ تشتبهُ عليك وتُشْكِلُ" (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٧٦- ٢٧٧).

ومن ذلك ما نبّه عليه ابن طباطبا في رسالته في استخراج المعمى من وجوب الإفادة من النظام النحوي للعربية، إذ هو يقتضي تتابعات معينة لا محيد عنها مثل:

- ورود اسم موصول كـ(الذي) يقتضي صلة
- الحروف المختصة بالأفعال لا تليها الأسماء
- الحروف المختصة بالأسماء لا تليها الأفعال
- ظروف الأزمنة والأمكنة تقتضي الأسماء المضافة إليها
- معرفة مواضع كلٍّ من الاسم والفعل والحرف (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢١٦- ٢١٧).

ومن ذلك ما نبَّــه عليه صاحب كتاب *أدب الشعراء* في رسالته في استخراج المعمى من الشعر، من وجوب معرفة الأسماء الستة وما يطرأ على أواخرها من تغير تبعًا لإعرابها (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٣٣٩- ٣٤٠).

٥. العروض والقافية

كان لعلمي العروض والقافية النصيب الأوفى بين علوم العربية في رسائل التعمية، فقد عني أرباب التعمية بهما عناية فائقة، لما لهما من أهمية عظيمة في مجال استخراج المعمى من الشعر، إذ الشعر قسيم النثر، وكثيراً ما يجعله المعمِي أداة لكلام يريد أن يخفيه، لذا أفرد بعضهم رسائل خاصة باستخراج المعمى من الشعر، كابن طباطبا، وصاحب كتاب أدب الشعراء، والجرهمي، على حين جمع بعضهم بين الشعر والنثر كابن دنينير، وإن خصَّ كلًّا منهما ببيان.

وأبدأ بكتاب ابن دنينير الذي قسمه صاحبه قسمين كبيرين جعل الأول مهما لحلِّ ما عمِّي في الكلام المنثور، والثاني لحلِّ ما عمِّي في الكلام المنظوم.

وقد استهل القسم الثاني هذا ببيان ما ينبغي أن يتصف بها من رامَ استخراج المعمى في الكلام المنظوم:

"فأقرب الدلائل على هذا العلم أن يكون المستنبط:

١- عالماً بعلم العَروض

٢- عالماً بعلم القوافي

٣- عالماً بعلم الشعر

٤- بصيراً بالكتابة

٥- كثير الحفظ للشعر

٦- مكَّاراً بالمعمّى" (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٦٧).

وسأقتصر هنا على بيان جهود ابن دنينير في علمي العروض والقافية:

١. **علم العروض**

- **دوائر العروض (الفصل ٣٨):**[٢٦]

يبدأ ابن دنينير بذكر دوائر العروض، وهي الدوائر التي تنفك عنها بحور الشعر المختلفة، ذلك لأن هذه البحور يشابك بعضها بعضاً بأن ينفك هذا عن ذاك، ويتضح ذلك بأن نعمد إلى أجزاء البحر الوافر وهي:"مفاعِلَتُن، مفاعلتن، مفاعلتن،... ٦ مرات" فندحرج الوتد الواقع في صدر البيت وهو"مفا"[٢٧] إلى عجزه، فيصير ترتيب هذه الأجزاء على النحو التالي: "عَلَتُن مفا، عَلَتُن مفا، عَلَتُن مفا، ... ٦ مرات" وهي أجزاء البحر الكامل ويقابلها من التفاعيل المستعملة: "متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن، ... ٦ مرات" (الزمخشري ١٩٧٧: ٥٠) وتشترك كل مجموعة من البحور التي ينفك بعضها عن بعض في دائرة تسمّى بحسب أجزائها، ومن ثم كان عدد الدوائر خمساً هي: الدائرة المختلفة، والدائرة المؤتلفة، والدائرة المشتبهة، والدائرة المجتلبة، والدائرة المتفقة.

٢٦ من كتابه *مقاصد الفصول المُتَرْجِمة عن حَلِّ التَّرْجَمة* (انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٠٠).

٢٧ تتركب أوزان العروض من الأسباب والأوتاد، فالسبب ما كان حرفين نحو: "عَلَ" و "تُنْ" والوتِد ما كان على ثلاثة، فإن كان الثالث ساكناً فهو وتد مجموع نحو: "مفا" وإن توسط الساكنُ فهو وتد مفروق نحو: "فاع" (لمزيد من البيان والتفصيل يراجع التبريزي ٣٠، والهاشمي ٥-٨).

- **بحور الشعر (الفصلان ٣٩-٤٠):**

يذكر ابن دنينير في **الفصل (٣٩)** بحور الشعر الستة عشر وتفعيلات كلٍّ منها، ويوزعها في الفصل (٤٠) على دوائرها الخمس التي تقدم ذكرها. ثم ينبه على ثلاثة من مصطلحات علم العروض وهي الزحاف والخَرْم والخَزْم، وهذا بيان القول فيها:

فالزحاف: تغيير يلحق بثواني الأسباب (أي الحرف الثاني من السبب) في أجزاء البيت الشعري عامة (أي الحشو وغيره) ولا يجب التزامه (أي يأتي في بيت دون آخر من القصيدة) وله أنواع تختلف باختلاف نوع التغيير وموضعه، من ذلك الإضمار: وهو تسكين الثاني المتحرك في مُتَفاعلن فتصير مُتْفاعلن. والقبض: وهو حذف الخامس الساكن في فعولن فتصير فعولُ (الهاشمي ٩-١٢).

والخرم: حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت، فإن كان في فعولن صارت عولن ونقلت إلى فَعْلُن وسمي الثلْم، كقول الشاعر:

شـاقتْكَ أحداجُ سليمى بعاقلٍ فعيناكَ للبينِ تجودان بالدمع

فأول تقطيعة فيه: (شاقت) بوزن (فعْلُن) ، وإن كان الخرم في فعولُ صارت عولُ ونقلت إلى فعْلُ وسمي الثَرْم، كقول الشاعر:

هاجكَ ربعٌ دارسُ الرسم باللّوى لأسماءَ عفّى آيَهُ المُورُ والقَطْرُ

فأول تقطيعة فيه (هاج) بوزن فَعْلُ (التبريزي ٤٢-٤٤). وقد ذكر ابن دنينير الثلم والثرم في الفصل ٥٥ (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٠-٢٨١) .

والخزم: زيادة في أول البيت لا يعتدُّ بها في التقطيع، ومقدارها من حرف إلى أربعة أحرف: ومثاله بزيادة حرف:

وإذا أنت جازيتَ المسيءَ بفعلِهِ أتيتَ من الأخلاقِ ما ليسَ راضياً[٢٨]

والظاهر أن ابن دنينير إنما خصَّ هذين النوعين بالذكر لأنهما يؤثّران في الوزن تأثيراً يخرج به عن المألوف، على حين لا تؤثّر أنواع الزحاف المختلفة في الوزن هذا التأثير.

٢- علم القوافي

يفرد ابن دنينير الفصل (٤١) للكلام على القوافي، والقافية: ما بين آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل هذا الساكن. هذا قول الخليل فيها، وهو القول المختار عند المحققين، أما الأخفش

٢٨ التبريزي ١٩٠-١٩٢، والزمخشري ١٩٧٧: ٦٢-٦٣.

فقال: القافية آخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام.[٢٩] وقد عرض ابن دنينير في هذا الفصل لأسماء القوافي وعوارضها (أو حروفها) وعيوبها. أما أسماؤها فقد ذكرها وفق ذكر أهل هذا العلم لها (انظر: الأخفش ١١-١٢، التبريزي ١٩٧-١٩٩، الهاشمي ١٣٢-١٣٣)، وهي موزعة حسب ترتيب حروفها وحركاتها، والجدول ٥ يضم هذه الأنواع مشفوعة بأمثلتها، وقد رمزنا فيه للحركة بـ(/) وللساكن بـ (o).

الجدول ٥: أسماء القوافي

الاسم	المتكاوس	المتراكب	المتدارك	المتواتر	المترادف
الرمز	o////o	o///o	/oo/	o/o	oo
المثال	الحضـ(يْضِ قَدَمُهْ)	والـ (دِّيَمُ)	فحَـ (وْمَلِ)	و(جْدِيْ)	الجو(اْدْ)

وكل الأمثلة المذكورة مقتطعة من أبيات شعرية.[٣٠]

وأما عوارضها فهي ما يعرض لها من حروف وحركات، وتسمى أيضاً المراعَيات،[٣١] وهي ستة أحرف وست حركات.

---

٢٩ الأخفش ٣، ٨ وفيه مزيد بيان عن القافية، وانظر مقدمة النفاخ له ٣٣.

٣٠ فالمثال الأول من قول الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلّمُـهْ إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمُهْ

زلَّت به إلى الحضيضِ قدمُهْ

والمثال الثاني من قول زهير:

قف بالديار التي لم يعفُها القِدَمُ بلى، وغيَّرَهَا الأرواحُ والدِّيَمُ

والمثال الثالث من قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

والمثال الرابع من قول ابن الدمينة:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجدي

والمثال الخامس من قول ابن النبيه:

الناس للموت كخيـل الطّـرادْ فالسابق السابق منها الجوادْ

انظر التبريزي ١٩٧-١٩٩، والهاشمي ١٣٢-١٣٣.

٣١ انظر التبريزي ٢٠٠.

إلا أن ابن دنينير عرض للحروف فحسب وأغفل الحركات لعدم حاجة المستخرج إليها في الحلّ (التبريزي ٢٠٠-٢٠٨، الأخفش ١٥-٣٤، الهاشمي ١٢٤-١٢٦). والجدول ٦ يجمع هذه الحروف ويجدد مصطلحاتها ممثلاً لكل منها.

الجدول ٦: حروف القافية

اسم الحرف	تعريفه (أو حدّه)	حروفه	مثاله
الرويّ	الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه.	كلها عدا المد والهاء	الباء في (أصابا)[٣٢]
الوصل	حرف مد ناشئ عن إشباع حركة الروي، أو هاءٌ تلي حرف الروي.	حروف المد والهاء	الألف الأخيرة في (أصابا)
الخروج	حرف مد ناشئ عن حركة هاء الوصل.	حروف المد	الياء بعد الهاء في (مساويهي)[٣٣]
الرِّدف	حرف لين أو مد أتي قبل الروي.	حروف المد	الألف قبل الباء في (أصابا)
التأسيس	ألف قبل حرف الروي بحرف (لا يفصلها عن الروي إلا حرف واحد متحرك).	الألف	الألف في (جاهـل)[٣٤]
الدخيل	هو الحرف المتحرك الذي بين التأسيس والروي.	كل الحروف عدا حروف المد	الهـاء في (جاهـل)

وأما عيوب القافية وتسمى عيوب الشعر أيضاً؛ فقد اقتصر ابن دنينير على ما يلزم المستخرج منها. وهي في جملتها نوعان: يعرض أولهما لحرف الروي وحركته (المجرى)، وهي ستة أنواع: الإكفاء، والإجازة، والإقواء، والإصراف، والإيطاء، والتضمين. ويعرض ثانيهما لما قبل الروي من الحروف والحركات ويسمى

٣٢ أقلّي اللـوم، عـاذلَ، والعتـابا وقولي إن أصبت لقـد أصـــابا

٣٣ لا تحفظن عن الندمـان زَلّتَـهُ واقبل له العذر واحلم عن مساويهِ

٣٤ نظرت إلى الدنيـا بعينٍ مريضةٍ وفكرةِ مغرورٍ وتأميـل جاهـلِ

السناد، وهو خمسة أنواع: سناد الرِّدف، وسناد التأسيس، وسناد الإشباع، وسناد الحذو، وسناد التوجيه (انظر الجدول ٧).[٣٥]

الجدول ٧: عيوب الشعر (كما وردت عند ابن دنينير)

اسم العيب	تعريفه	مثاله
الإكفاء	اختلاف حرف الروي في قصيدة واحدة بحروف متقاربة المخارج	هيِّنُ.. والطُّعَيْمُ[٣٦]
الإقواء	اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة	العصافيرِ.. والأعاصيرُ[٣٧]
الإيطاء	تكرر القافية بمعنى واحد في قصيدة واحدة	الساري.. والساري[٣٨]
التضمين	تعلّق قافية البيت الأول بالبيت الثاني	كما.. وحُمّلت[٣٩]
سناد التأسيس	مجيء بيت مؤسس وآخر غير مؤسس في قصيدة واحدة	اسلمي.. والعالم[٤٠]

٣٥ انظر الهاشمي ١٣٤-١٣٧. وثمة عيوب أخرى للشعر اختلف فيها كالنّصْب والبأو والرَّمَل والتحريد. انظر الأخفش ٦٩-٧٤، والتبريزي ٢٢٤-٢٢٦.

٣٦ بُنيَّ إن البـرَّ شـيء هيّـنُ المنطـق الليِّـن والطُّعَيِّـمُ

٣٧ لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسـم البغال وأحلام العصافيرِ

كأنهم قصب جوف أسافِلُـهُ مثقّبٌ نَفختْ فيه الأعاصـيرُ

٣٨ أوأضعَ البيت في خرسـاءَ مظلمةٍ تُقيِّدُ العَيْرَ لا يسري بها الساري

لا يَخفضُ الرِّزَّ عن أرضٍ ألمَّ بها ولا يَضِلُّ على مصباحِهِ الساري

٣٩ يا ذا الذي في الحب يلحى، أما والله لو حُمّـلتَ منه كمـا

حُمِّـلتُ من حب رخيم لما لمتَ على الحب فذرني وما ...

٤٠ يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي... فخندفٌ هامةُ هذا العالمِ

- **عدد حروف البيت (الفصل ٤٣):**

يحاول ابن دنينير أن يستدل بعدد حروف البيت على وزنه، ويضع حدوداً لذلك يمكن تلخيصها في الجدول ٨.

الجدول ٨: الاستدلال بعدد حروف البيت على وزنه (لدى ابن دنينير)

عدد الحروف	الوزن
٤٠-٥٠	الطويل أو البسيط
نحو ٤٠ أو أقل بقليل	الطويل، أو المديد، أوالبسيط أو الوافر، أو الكامل، أو تام الرجز، أو تام الرمل، أو السريع، أو المنسرح، أوالخفيف، أو تام المتقارب
نحو ٣٠ أو أقل	مجزوء المديد، أو البسيط، أو مربع الكامل، أو الوافر، أو الهزج، أو الرجز، أو الرمل، أو السريع، أو الخفيف، أو المضارع، أو المقتضب، أو المجتث، أو المتقارب
فوق ١٠ بقليل	قصار المنسرح، أو الرجز
١٠	زحاف الرجز
٧ أقصر ما يكون	منهوك الرجز

وتحسن الإشارة إلى أن ما عبّر عنه ابن دنينير بقوله: "فهذا أقصر ما يكون" هو ما يسمى "المقطع" (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٧٣)، وهو أشبه ما يكون بشعر التفعيلة الحديث، وقد عرض له ابن رشيق في كتابه *العمدة* بقوله:

"وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزءين، نحو قول دريد ابن الصمة يوم هوازن:

يا ليتني فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ

حتى صنع بعض المتعقبين – أظنه علي بن يحيى، أو يحيى بن علي المنجم – أرجوزة على جزء واحد هي:

طيفٌ أَلَمْ ¤ بذي سَلَمْ بعدَ العَتَمْ ¤ يطوي الأكَمْ

جادَ بِفَمْ ¤ وملْتَزمْ فيه هَضَمْ ¤ إذا يُضَمْ

ويقال: إن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر، يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي:

موسى المَطَرْ ¤ غيث بَكَرْ ثم انهَمَرْ ¤ ألوى المَرَرْ

كم اعتَسَرْ ¤ ثم ايتسَرْ وكم قَدَرْ ¤ ثمَّ غَفَرْ

عَدْلُ السِّـيَرْ ¤ باقي الأثرْ خيرٌ وشـرْ ¤ نَفْعٌ وضُـرْ

خير البشـرْ ¤ فرعُ مُضَرْ بدرٌ بَـدَرْ ¤ والمفتخَـرْ

لِمَنْ غَبَر

والجوهري يسمي هذا النوع: "المقطع" (القيرواني ١٨٤-١٨٥).

والملاحظ أن بعض أبيات قصيدة سلم هذه جاء على أقل من سبعة أحرف، كقوله: "ثم غفر" الذي لم يتجاوز الأحرف الخمسة على أن فيه حرفاً مشدداً.

هذا وقد عرض ابن طباطبا[٤١] في رسالته في استخراج المعمى لكثير مما جاء في كتاب ابن دنينير، بيد أنه زاد عليه قضية مهمة نستطيع أن نسميها: **(إدارة الترجمة في الشعر)** والمقصود من إدارة الترجمة في الشعر وضع كلمات التعمية على دائرة لا يعرف أولها فينفك منها ما يخرج من دائرة وزن البيت من بحور، على أن تكون هذه الكلمات قابلة لمثل هذا الفك، بحيث لا تعرف الكلمة الأولى من البيت، فكلّ كلمة فيه يمكن أن تكون بدءاً له.

ويمثل ابن طباطبا لهذا ببيت يستوي نظمه ومقاطع كلماته في الأوزان التي تجتمع في دائرة المشتبه، وهي الدائرة الثالثة من دوائر العروض، سمِّيت بالمشتبه لأن أجزاءها كلَّها سباعية متشابهة ومجموعها واحد وعشرون جزءاً، ينفكّ منها بحور ثلاثة هي الهزج والرجز والرمل (التبريزي ١٤). وهذا رسم يوضحها:

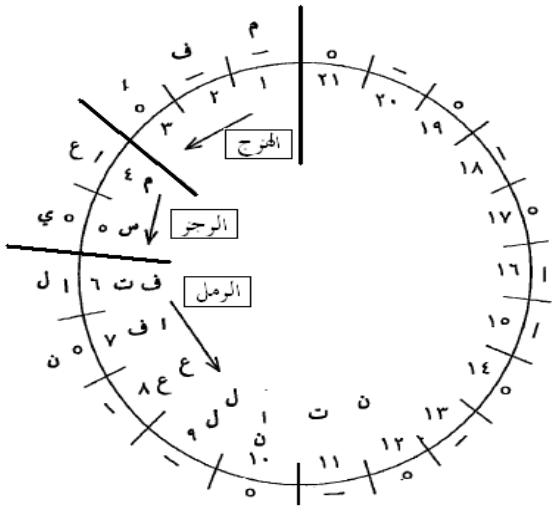

٤١ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طَباطَبا العلوي أبو الحسن ولد بأصبهان وبها توفي عام ٣٢٢هـ. أديب، وشاعر مُفْلِق، وعالم محقق، شائع الشعر نبيه الذكر، عُرِفَ بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجَودة المقاصد.وله مصنفات منها: *عيار الشعر وتهذيب الطبع* و*كتاب العروض* وديوان شعر ورسالة في استخراج المعمى. انظر الصفدي ١٩٨٠: ٢/ ٧٩-٨٠، والزركلي ٥/ ٣٠٨.

وقد رقمت فيه أجزاء الدائرة (٢١) رقماً، ووضع مقابل كل منها ما يقابلها من الحركة (_) أو السكون (٥) فإذا بدأنا بالرقم (١) انفكَّ لنا بحر الهزج: مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن. وإذا بدأنا بالرقم (٤) أي بترك أول مقطع من تفعيلة الهزج، وهو (مفا) -ويسمى الوتد المجموع- انفك لنا بحر الرجز: مستفعلن مستفعلن مستفعلن. وإذا بدأنا بالرقم (٦) أي بترك المقطع الثاني من تفعيلة الهزج السابقة وهو (عيـ) -ويسمى السبب الخفيف- انفك لنا بحر الرمل: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن.

أما البيت الذي مثل به ابن طباطبا فهو:

بدرٌ كريمٌ ماجدُ بحرٌ جوادٌ سابقُ

وهو ينطبق على ما رأينا في دائرة المشتبه، وسنمثل ذلك بالرسم التالي، على أننا سنبدأ بالكلمة الثانية (كريم) التي ينفك منها بحر الهزج كيما يتطابق هذا مع الرسم السابق:

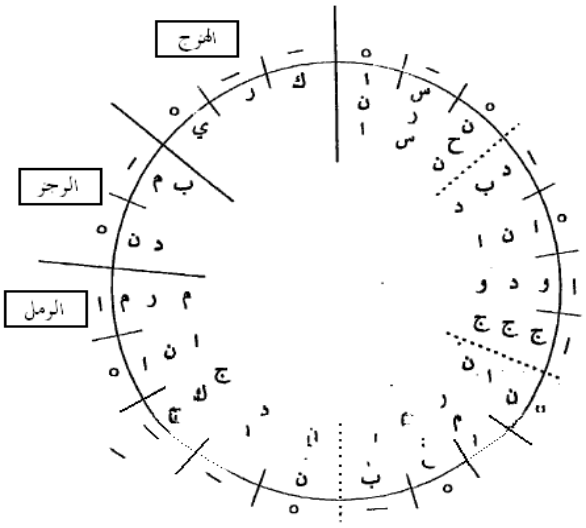

ويلاحظ فيه أنه ابتدأ بكتابة حروف البيت الأول من بحر الهزج (داخل الدائرة) مقابل الحركات والسواكن (خارج الدائرة) وهو قوله:

كريم ماجد بحر جواد سابق بدر

إلا أن الدائرة تتسع لثلاث تفعيلات فحسب مما قطع الكلام عند قوله (سا). فإذا تركنا المقطع الأول انفك البيت الثاني من بحر الرجز، وقد كتبت حروفه تحت حروف ذاك ابتداءً من المقطع الثاني:

بدر كريم ماجد بحر جواد سابق

وإذا تركنا المقطع الثاني انفك البيت الثالث من بحر الرمل، وكلماته تقابل كلمات الأول تماماً. وقد كتبت حروفه تحت حروف البيت الثاني ابتداءً من المقطع الثالث:

ماجدٌ بحرٌ جوادٌ سابقٌ بدرٌ كريمٌ

وينبه ابن طباطبا هنا على ضرورة استخراج الحروف قبل استخراج الوزن، في مثل هذا النوع من التراجم، لأن الوزن يمكن أن يتَّسق من أي الكلمات بدأ، فيلتبس الأمر على المستخرج ظناً منه أن ما أخرجه هو الصواب، لاستقامة وزنه كما هي الحال في المثال السابق.

٦. البلاغة

لا نكاد نجد أثرًا لعلم البلاغة في رسائل التعمية إلا في مصطلحين اثنين: أولهما التورية والكناية والمعاريض، وثانيهما فن المعمَّى البديعي.

أما المصطلح الأول وهو التورية والكناية والمعاريض فقد ورد في معرض التأريخ لعلم التعمية (مراياتي، مير علم & الطيان ١/ ٤٠)، قبل أن يصبح للتعمية أصول وطرق علمية ومناهج استخراج، إذ تعد هذه الأمور النواة الأولى لهذا العلم، وقد يعبر عن ذلك أيضا باللحن ، وهو أن تريد شيئاً فتورّي عنه بقول آخر، وهو يعتمدُ على فطنةِ المتراسلينَ وخبرتهم وثقافتِهم، وقد صنَّف فيه ابن دريد (ت٣٢١) كتاباً سماه *اللاحن* وساق فيه قصة طريفة استُعمل فيها هذا الضرب من اللحن (ابن دريد ١٩٩٦: ص٣ ومابعدها، و القالي ١/ ٦-٧).

وأما المصطلح الثاني وهو فن المعمى البديعي فهو نوع من الإلغاز، ويعرف بأنه كلام يستخرج منه كلمة فأكثر بطريق الرمز والإيماء بحيث يقبله الطبع السليم، ويشترط فيه أن يكون له في نفسه معنى ورواء المعنى المقصود بالتعمية (انظر: الجزائري ٣).

وقد اقتصرنا في كتابنا *علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب* بجزأيه (مراياتي، مير علم & الطيان ١٩٨٧، ١٩٩٧) على ذكر أهم رسائل التعمية البديعية دون الدخول في تحقيقها وتحليلها كما سلف القول.

٧. طرائف أدبية ولغوية

وهي طرائف عجَّت بها رسائل التعمية أشير هنا إلى أبرزها:

أ – أبياتٍ تحتوي على حروفِ المعجمِ

وقد ذكرها أرباب التعمية لاستخدامها في طريقة التعمية بالتبديل، إذ يتم تبديل الحروف بل تبادلها وفق ترتيبها في البيت كل حرف مع الذي يليه والعكس صحيح. جاء في رسالة *مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز*: "ومنهم مَن يصطلح على إبدال حرف بحرف معيّن من الحروف دائماً حيث وقع، مثل وضعهم القلم القمّيّ:

كَمْ أَوْ حَطٍ صِلا لُه دَرْ سَعٌ في بَزْ خَشٍ غَضٍّ ثَجٍ تَذْ نَقُ

فيبدل الكافَ بالميم، والميمَ بالكافِ، والألفَ بالواوِ، والواوَ بالألفِ وهلمّ جرّاً. فيكتب (محمد: كطكر) و(علي: سهف) و (مسعود: كعسار).

ومثل وضعهم:

طَرَقَتْ شَموسُ فَظَلَّ ذا جزع خبلاً حديثُك نصُّه غَضُّ

فيكتب (عمر: زشط).

ومثل وضعهم القلمَ الفهلوي:

قَدْ ضَجَّ زحرٌ وَشَكا بَثَّهُ مُذْ سَخِطَتْ غُصْنٌ على لافِظِ[٤٢]

فيكتب (محمد: ذزذق)و (علي: نيل) و (عمر: نذو). وهذا غير مضبوط، يمكن أن يُصطَلَح من أقلام لا تحصى كثرة" (مراياتي، مير علم & الطيان ١/ ٣٢٦- ٣٢٧).

وقد أورد ابن دنينير أبياتًا أخرى تجمع حروف المعجم كقول الشاعر:

صِفْ خَلقَ خَوْدٍ كَمِثْلِ الشّمسِ إذْ بزغَتْ يحظى الضَّجيعُ بها نَجلاء مِعْطار[٤٣]

وقول الآخر:

---

٤٢ ورد هذا البيت في رسالة ابن عَدْلان (مراياتي، مير علم & الطيان ١/ ٢٧٢)، وفي كتاب ابن دنينير (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٧)، ورسالة *استخراج المعمى من الشعر المجردة* من كتاب *أدب الشعراء* (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٣٥٢). وانظر قسم الدراسة في علم التعمية (مراياتي، مير علم & الطيان ١/ ١٤٤-١٦٨، ١٦٩).

٤٣ انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٧. وقد نسبه السيوطي في *بغية الوعاة* ١/ ٥٥٩ إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وقال: "وهو أوّل مَنْ جمع حروف المعجم في بيت واحد". وانظر عفيفي: ص١٠١.

هَلاَّ سَكَنْتَ بذي ضِغْثٍ فَقَدْ زَعَمُوا خَرَجْتَ تَطْلُبُ ظَبْياً راحَ مُنْشاصا[٤٤]

وقولُ الآخرِ:

ثابِرْ على حِفْظِ خضرٍ واسْتَشِرْ قَطِناً وزُجَّ هَمَّكَ في بَغْداذَ واصْطَبِرِ[٤٥]

وقول الآخر:

مُزَرْفَنُ الصُّدْغِ يَسْطو لَحْظُهُ عَبَثاً بالخَلْقِ جَذْلانَ إنْ يَشْكُ الهوى ضَحِكا[٤٦]

ب – أبيات المعاياة

وهي أبيات يعمَّى بها للمعاياة، أي للمعاناة والإجهاد في طلب الحلِّ لأنها صعبة، وصعوبتها ناشئة من اجتماع حروف لا تتصل في بيت واحد، أو تشابه أشكال الحروف دون إعجام، أو تكرارها على نحو غير مألوف يؤدي إلى اختلال مبدأ تواتر الحروف.[٤٧]

فمن ذلك بيت يتألف من مجموعة حروف لا يمكن أن يتصل واحد منها بغيره، وفيه تكرار في حرفي الراء والدال خاصة، وتشابه بين الراء والزاي من جهة، والدال والذال من جهة أخرى:

زارَ داو	دُ دارَ رَو	حٍ ورَوحٌ	زارَ داو	دَ إذ أرا	دَ رِداهُ[٤٨]
فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتـن	فاعلاتن	متفعلن	فعلاتن

٤٤ انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٧، وصاحب رسالة *استخراج المعمى من الشعر المجردة* من كتاب *أدب الشعراء* (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٣٥٣).

٤٥ انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٧، وصاحب رسالة *استخراج المعمى من الشعر المجردة* من كتاب *أدب الشعراء* (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٣٥٣).

٤٦ ورد في نهاية كتاب ابن دنينير (انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٨)، وفي *القاموس* "الزُّرْفِنُ، بالضم والكسر: حَلْقَةٌ للباب (الفيروزآبادي ١٢٠٣).

٤٧ جاء في *أساس البلاغة*: "عايا صاحبه معاياة إذا ألقى عليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه، وتقول إياك ومسائل المعاياة فإنها صعبة المعاناة" (الزمخشري ١٩٨٢: ٥٩٥).

٤٨ ورد في كتاب ابن دنينير (انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٧).

ومن ذلك بيت فيه تكرار لشكلٍ واحد ثلاثي الحروف: (بمن) يمكن قراءته بغير ما وجه. ولعل أصلَه توقيعٌ كتبه الخليفة العباسي الناصر (٦٢٢هـ) في ورقة كتبها إليه خادم له اسمه يُمْن يتعتَّب: "بِمَنْ يَمُنُّ يُمْن، ثَمَنُ يُمْنٍ ثمْن ثمن".[٤٩] ويقال أنه أعاد الجواب وقد كتب فيه: "يمنّ يمنٌ بمن ثمَّن يمن ثُمنَ ثمن".[٥٠]

وهذا هو البيت مع تقطيعه:

بِـمَـنْ	يَـمُـنُّ	يُـمْنُ	بِـمَـنْ؟	ثَـمَنُ	يُـمْـنٍ	ثُـمْـنُ	ثُـمُـنْ[٥١]
فَعُلْ	فعولُ	فَعْلُ	فَعُلْ	فَعُلُ	فعْلُن	فَعْلُ	فَعُلْ

ومن ذلك بيت في شطره الثاني قلب لشطره الأول على مستوى الكلمات لا الحروف، إذ تتكرر فيه كلمات الشطر الأول نفسها لكن بترتيب مختلف، وهو من بحر الرمل ذي الضرب المحذوف (فاعلن):[٥٢]

صُلْ فَسُلَّ السَّيْفَ تُدْرِكْ شَرَفاً شَرَفاً بالسَّيْفِ تُدْرك صُلْ فَسُل[٥٣]

ومن ذلك بيت في شطره الثاني قلب لشطره الأول على مستوى الحروف لا الكلمات، إذ انعكست حروف شطره الأول في حروف شطره الثاني، ولو رحت تقرأ البيت من آخره لخرج معك البيت نفسه، وهذا ما يسميه علماء البديع ما لا يستحيل بالانعكاس، ويمثلون عليه بالبيت المشهور:

مودّتُهُ تدومُ لكلِّ هولٍ وهل كلٌّ مودّتُهُ تدومُ

وهو قول الشاعر على بحر الرمل ذي الضرب المحذوف (فاعلن):

عُجْ تَنَمْ قُرْبَكَ دَعْدٌ آمناً إنَّما دَعْدٌ كَبَرْقٍ مُنْتَجَعْ[٥٤]

---

٤٩ انظر الذهبي ٢٢/ ٢٠٠، والصفدي ١٩٨٠: ٦/ ٣١٥.

٥٠ انظر الصفدي ١٩٨٠: ٦/ ٣١٥.

٥١ ورد في كتاب ابن دنينير (انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٧).

٥٢ انظر التبريزي ١١١.

٥٣ ذكره ابن دنينير (انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٨)، وصاحب رسالة *استخراج المعمى من الشعر المجردة* من كتاب *أدب الشعراء* (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٣٥٣). وصُلْ: أمر من صال بمعنى وَثَب.

٥٤ ذكره ابن دنينير (انظر مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٢٨٨)، وورد في رسالة *استخراج المعمى من الشعر* (مراياتي، مير علم & الطيان ٢/ ٣٥٣). وعُجْ: أمرٌ من عاج بمعنى أقام أو رجع.

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا البحث أن رسائل علم التعمية واستخراج المعمى اشتملت على دراسات ومباحث في علوم اللغة المختلفة صوتًـا وصرفًـا وإحصاءً وعروضًا لا تقل أهميةً عما يجده الباحث في كتب اللغة المتخصصة، بل قد تفوقها أحيانا، إذ وقفنا على قضايا ومسائل لغوية لا توجد في كتب علوم اللغة، وفيما يأتي أبرز هذه المسائل:

١. تحديد مراتب الحروف وتواتر دورانها في الكلام العربي، وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام: الكثيرة الدوران، والمتوسطة الدوران، والقليلة الدوران.
٢. التفريق بين الحروف المصوتة والحروف الساكنة أو الخرس، وبيان أن المصوتة منها العظام وهي حروف المد، ومنها الصغار وهي الحركات.
٣. تقسيم حروف العربيةِ إلى: أصليَّةٍ: وهي ستة عشر حرفاً، لا تكونُ زائدةً بوجهٍ من الوجوهِ. ومتغيرةٍ: وهي اثنا عشر حرفاً، تضمُّ حروفَ الزيادةِ بالإضافةِ إلى الباءِ والفاءِ والكافِ.
٤. رصد حالات التنافر بين حروف العربية واستقصاؤها، بحيث بلغت الثنائيات التي يمتنع فيها ائتلاف الحروف نحو مئة ثنائية.
٥. التفريق – في ائتلاف الحروف - بين مصطلحي المقارنة والمجاورة، فالمقارنة لا تكون إلا في أصل بناء الكلمة، في حين تكون المجاورة في الحروف الزائدة، كالكاف التي لا تقارن القاف لكنها تجاورها في مثل كلمة (كقولك) لأن الكاف زائدة للتشبيه وليست من أصل الكلمة.
٦. تعليل حالات التنافر، وعرض جملة من القوانين الصوتية التي تطابق أحدث النظريات في علم الصوتيات مثل:

أ- علة عدم الائتلاف أو التنافر

ب- الجهد الأقل "the least effort"

ج- المماثلة "assimilation"

٧. تحديد طول الكلمة العربية، وحدّ هذا الطول، وما يدخل فيها من حروف الزيادة، والحروف الذلقية، ومبلغ تكرار الحرف في كلمة واحدة دون فاصل (وقد أوصلوه إلى خمس مرات وهو رقم قياسي لم يقل به أحد فيما أعلم)، وكذا مبلغ تكرره في كلمات متعددة دون فاصل.

٨. الاستدلال بعدد حروف البيت على وزنه، ووضع حدود لذلك تمكن الباحث من مقاربة تحديد الوزن بعدٍّ حروف البيت.

٩. الكلام على أقصر ما يكون في الشعر، حيث يتألف البيت الشعري من سبعة أحرف في وزن مستفعلن، وهو ما يُسمَّى: "المقطع" وهو أشبه ما يكون بشعر التفعيلة.

١٠. ابتكار طريقة **(إدارة الترجمة في الشعر)** والمقصود منها وضع كلمات التعمية على دائرة لا يعرف أولها، فينفك منها ما يخرج من دائرة وزن البيت من بحور، على أن تكون هذه الكلمات قابلة لمثل هذا الفكِّ، بحيث لا تعرف الكلمة الأولى من البيت، فكلّ كلمة فيه يمكن أن تكون بدءًا له.

١١. ذكر **أبياتٍ** يحتوي كلٌّ منها على **حروفِ المعجمِ** كاملة دون تكرار، وقد بلغت هذه الأبيات الثمانية، وأطلق على بعضها تسميات خاصة كالقلم الفهلوي والقلم القمي، إيذانًا باستخدامها مفاتيحَ في بعض أنواع التعمية واستخراجها.

١٢. ذكر **أبيات المعاياة** وهي أبيات يعمَّى بها للمعاياة، أي للمعاناة والإجهاد في طلب الحلِّ لأنها صعبة، وصعوبتها ناشئة من اجتماع حروف لا تتصل في بيت واحد، أو تشابه أشكال الحروف دون إعجام، أو تكرارها على نحو غير مألوف يؤدي إلى اختلال مبدأ تواتر الحروف.

وبعد فليس هذا كل ما في رسائل التعمية من علوم اللغة وفنونها، ولكنه يمثل أكثر ما فيها، لأن استقصاء ذلك يحتاج إلى بحث أوسع، ومجال أرحب، ولا يأمن فيه الباحث من ظاهرة التكرار، فكثيرا ما يتكرر ذكر المسألة اللغوية في غير ما رسالة من الرسائل، فحسبي هنا أني أحصيت أهم ما فيها ولله الحمد من قبل ومن بعد وهو ولي التوفيق.

مراجع البحث

الأخفش، سعيد بن مسعدة. ١٩٧٧. *القوافي*. تحقيق أحمد راتب النفاخ. بيروت: دار الأمانة.

الأزدي، علي بن ظافر. ١٨٦١. *بدائع البدائه*. مصر.

الأزهري. ١٩٦٤. *تهذيب اللغة*. تحقيق عبد السلام هارون وزملائه. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

التبريزي، الخطيب. ١٩٨٥. *الوافي في العروض والقوافي*. تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة. حلب: المكتبة العربية.

الجزائري، الشيخ طاهر. ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م. *تسهيل المجاز إلى فن المعمّى والألغاز*.سورية: مطبعة ولاية سورية.

ابن جلجل الأندلسي. ١٩٨٥. *طبقات الأطباء والحكماء*. تحقيق فؤاد السيد. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حجر العسقلاني. ١٩٧٢. *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*. حيدر أباد، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

ابن دريد، محمد بن الحسن. ١٩٣٢. *جمهرة اللغة*. الهند.

ـــــ. ١٩٩٦. *الملاحن*. تحقيق عبد الحفيظ فرغلي وعلي قرني. بيروت: دار الجيل.

الذهبي، شمس الدين. ١٩٨٨. *سير أعلام النبلاء*. تحقيق اشعيب الأرنؤوط وأصحابه. بيروت: مؤسسة دار الرسالة.

الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. ١٩٨٠. بيروت: دار العلم للملايين. ط٥.

الزمخشري، جار الله. ١٩٧٧. *القسطاس في علم العروض*. تحقيق فخر الدين قباوة. حلب: المكتبة العربية.

ـــــ. ١٩٨٢. *أساس البلاغة*. تحقيق عبد الرحيم محمود. بيروت : دار المعرفة.

ابن السراج. ١٩٧٣. *رسالة الاشتقاق*. تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدري. دمشق: دار مجلة الثقافة.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله. ١٩٨٣. *أسباب حدوث الحروف*. تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم. دمشق: مجمع اللغة العربية.

السيوطي. ١٩٦٤. *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. صيدا: المكتبة العصرية.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. ١٩٨٠. *الوافي بالوفيات*. باعتناء طائفة من أهل العلم. فيسباده، ألمانية: دار فرانز شتاينر.

ـــــ. ١٩٩٨. *أعيان العصر وأعوان النصر*.تحقيق علي أبو زيد وزملائه. بيروت: دار الفكر المعاصر- دمشق: دار الفكر.

الطيان، محمد حسان. ٢٠١٢. "فوائت ابن مالك من أفعال اللفيف المفروق". *مجلة الدراسات اللغوية* ١٤(٣): ١٢٧-١٤٩.

ـــــ. المعجم العربي. ٢٠١٨. *دراسة لتنافر الحروف في جذور العربية*. بيروت: دار المقتبس.

عفيفي، فوزي سالم. ١٩٨٠. *الكتابة الخطية العربية*. الكويت : وكالة المطبوعات.

الفارابي، أبو نصر. ١٩٣١. *إحصاء العلوم*. صححه ووقف على طبعه عثمان محمد أمين. القاهرة: مطبعة السعادة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. بلا تاريخ. *كتاب العين*. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، المجد. ١٩٨٦. *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١.

القيرواني، الحسن بن رشيق. ١٩٣٤. *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. مصر: المطبعة التجارية الكبرى.

كاهن، ديفيد. ١٩٦٧. *مستخرج المعمّى/ The Codebreaker*. نيويورك: ماكميلان.

الكتبي، محمد بن شاكر. ١٩٧٣. فوات الوفيات. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

كحالة ، عمر رضا. ١٩٥٧. *معجم المؤلفين*. بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

مراياتي، محمد، مير علم، يحيى، الطيان، محمد حسان. الجزء الأول ١٩٨٧، والجزء الثاني ١٩٩٧. *علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب*. دمشق: مجمع اللغة العربية.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. ٢٠٠٠. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

مير علم، يحيى. ١٩٨٣. "المعجم العربي: دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية." أطروحة ماجستير: جامعة دمشق.

ابن النديم. ١٩٧١. *الفهرست*. تحقيق تجدد رضا. طهران.

الهاشمي، السيد أحمد. ١٩٨٥. *ميزان الذهب*. سورية: دار الكتاب العربي.

References

Afīfī, Fawzī Sālim. 1980. *al-Kitābah al-Khaṭṭiyyah al-'Arabiyyah*. Kuwait: Wakālat Al-Maṭbū'āt.

Al-Akhfash, Sa'īd Ibn Mas'adah. 1977. *al-Qawāfī.* Ed. Aḥmad Rātib Al-Naffākh. Beirut, Lebanon: Dār al-Amānah.

Al-'Asqlānī, Ibn Ḥajar. 1972. *ad-Durar al-Kāminah fī 'A'yān al-Mi'ah ath-Thāminah*. Hyderabad, India: Majlis Dā'irat Al-Ma'ārif Al-'Uthmāniyyah.

Al-Azdī, ‘Alī Ibn Ẓāfir. 1861. *Badā’i‘ al-Badā’ih*. Egypt: N.P.
Al-Azharī. 1964. *Tahdhīb al-Lughah*. Ed. Abd Al-Salām Hārūn and others. Egypt: Al-Dār Al-Miṣriyyah lit-Ta’līf wa Al-Tarjamah.
Al-Dhahabī, Shams Al-Dīn. 1988. *Siyar ’A‘lām an-Nubalā’*. Ed. Shu‘ayb Al-Arna’ūṭ and others. Beirut, Lebanon: Mu’assasat Dār Al-Risālah.
Al-Fārābī, Abū Naṣr. 1931. *’Iḥṣā’ al-‘Ulūm*. Ed. ‘Uthmān Muḥammad Amīn. Cairo, Egypt: Maṭba‘at Al-Sa‘ādah.
Al-Farāhīdī, Al-Khalīl Ibn Aḥmad. N.D. *Kitāb al-‘Ayn*. Ed. Mahdī Al-Makhzūmī and Ibrahīm Al-Sāmurrā’ī. Dār wa Maktabat Al-Hilāl.
Al-Fayrūz Ābādī. 1986. *al-Qāmūs al-Muḥīṭ* (1st edition). Beirut, Lebanon: Mu’assasat Al-Risālah.
Al-Hāshimī, Al-Sayyid Aḥmad. 1985. *Mīzān adh-Dhahab.* Syria: Dār Al-Kitāb Al-‘Arabī.
Al-Jazā’irī, Al-Shaykh Ṭāhir. 1885. *Tashīl al-Majāz ’ilā Fann al-Mu‘ammā wa al-’Alghāz*. Syria: Maṭba‘at Wilāyat Sūriyyah.
Al-Kutubī, Muḥammad Ibn Shākir. 1973. *Fawāt al-Wafiyyāt*. Ed. Iḥsān Abbās. Beirut, Lebanon: Dār Ṣādir.
Al-Qayrawānī, Al-Ḥasan Ibn Rashīq. 1934. *al-‘Umdah fī Maḥāsin ash-Shi‘r wa ’Ādābih wa Naqdih*. Ed. Muḥyyī Al-Dīn Abd Al-Ḥamīd. Egypt: Al-Maṭba‘ah Al-Tijāriyyah Al-Kubrā.
Al-Ṣafadī, Ṣalāḥ Al-Dīn. 1980. *al-Wāfī bil-Wafiyyāt*. Wiesbaden, Germany: Franz Steiner.
___. 1998. *’A‘yān al-‘Aṣr wa ’A‘wān ’an-Naṣr*. Ed. Alī Abū Zayd and others. Beirut, Lebanon: Dār Al-Fikr Al-Mu‘āṣir.
Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn. 1964. *Bughiyat al-Wu‘āh fī Ṭabaqāt al-Lughawiyyīn wa an-Nuḥāh*. Ed. Muḥammad Ibrahīm. Sidon, Lebanon: Al-Maktabh Al-‘Aṣriyyah.
Al-Tayyān, Muḥammad Ḥassān. 2012. Fawā’it Ibn Mālik fī al-Lafīf al-Mafrūq. *Majalat Al-Dirasāt Al-Lughawiyyah* 14 (3): 127-149.
___. 2018. *al-Mu‘jam al-‘Arabiyy: Dirāsah li-Tanāfur al-Ḥurūf fī Judhūr al-‘Arabiyyah.* Beirut, Lebanon: Dār Al-Muqtabis.
Al-Tibrīzī, Al-Khaṭīb. 1985. *al-Wāfī fī al-‘Arūḍ wa al-Qawāfī*. Ed. Omar Yaḥyā and Fakhr Al-Dīn Qabāwah. Aleppo, Syria: Al-Maktabh Al-‘Arabiyyah.
Al-Zamakhsharī, Jār Al-Lāh. 1977. *al-Qisṭās fī ‘Ilm al-‘Aruḍ*. Ed. Fakhr Al-Dīn Qabāwah. Aleppo, Syria: Al-Maktabh Al-‘Arabiyyah.
___. 1982. *’Asās al-Balāghah*. Ed. Abd Al-Raḥīm Maḥmūd. Beirut, Lebanon: Dār Al-Ma‘rifah.
Al-Ziriklī, Khayr Al-Dīn. 1980. *al-’A‘lām* (5th edition). Beirut, Lebanon: Dār Al-‘Ilm lil-Malāyīn.
Ibn Al-Nadīm. 1970. *al-Fihrist*. Ed. Tajaddud Riḍā. Tehran, Iran: N.P.
Ibn Al-Sarrāj. 1973. *Risālat al-’Ishtiqāq*. Ed. Muḥammad Alī Darwīsh and Muṣṭafā Al-Ḥadrī. Damascus, Syria: Dār Majallat Al-Thaqāfah.
Ibn Durayd, Muḥammad Ibn Al-Ḥasan. 1932. *Jamharat al-Lughah.* N.Ed. India: N.P.
___. 1996. *al-Malāḥin.* Ed. Abd Al-Ḥafīẓ Farghalī and Alī Qarnī. Beirut, Lebanon: Dār Al-Jīl.
Ibn Manẓūr, Jamāl Al-Dīn Muḥammad Ibn Mukrim. 2000. *Lisān al-‘Arab.* Beirut, Lebanon: Dār Ṣādir.
Ibn Sīnā, Al-Ḥusayn Ibn Abd Al-Lāh. 1983. *’Asbāb Ḥudūth al-Ḥurūf.* Ed. Muḥammad Ḥassān Al-Tayyān and Yaḥyā Mīr ‘Alam. Damascus, Syria: Majma‘ Al-Lughah Al-‘Arabiyyah.
Kaḥḥālah, Omar Riḍā. 1957. *Mu‘jam al-Mu’allifīn.* Beirut, Lebanon: Maktabat Al-Muthannā wa Dār Iḥyā’ Al-Turāth Al-‘Arabī.

Kahn, David. 1967. *The Codebreaker*. New York: Macmillan.

Marāyātī, Muḥammad; Mīr ʻAlam, Yaḥyā; Al-Tayyān, Muḥammad Ḥassān. 1987. *ʻIlm at-Taʻmiyah wa ʼIstikhrāj al-Muʻmmā ʻinda al-ʻArab* (Part I). Damascus, Syria: Majmaʻ Al-Lughah Al-ʻArabiyyah.

___. 1997. *ʻIlm at-Taʻmiyah wa ʼIstikhrāj al-Muʻmmā ʻinda al-ʻArab* (Part II). Damascus, Syria: Majmaʻ Al-Lughah Al-ʻArabiyyah.

Mīr ʻAlam, Yaḥyā. 1983. *al-Muʻjam al-ʻArabiyy: Dirāsah ʼIḥṣāʼiyyah li-Dawarān al-Ḥurūf fī Judhūr al-ʻArabiyyah* (MA thesis). Damascus, Syria: University of Damascus.